

موقف المالكية من الكشف عند الصوفية

إعداد

أ.راشد بن عبد الرحمن سرير حاج.

باحث دكتوراة بقسم العقيدة والدعوة -

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز

مجلة الدراسات التربوية والإنسانية . كلية التربية . جامعة دمنهور

المجلد السابع عشر - العدد الثالث - لسنة 2025م

موقف علماء المالكية من الكشف عند الصوفية.

أ.راشد بن عبد الرحمن سرير حاج.

الملخص:

إن للعقيدة الإسلامية مصادر تستقى منها، منها ما هو أصلي كالقرآن والسنة والإجماع، ومنها ما هو ثانوي كالعقل والفطرة السليمة، ولقد التزم أهل السنة والجماعة بتلك المصادر في تلقي العقيدة والاستدلال عليها، فكان معتقدهم صافياً سليماً، بعيداً عن الغموض والتناقض والانحراف، ولقد ضل في باب مصادر تلقي المعتقد طوائف من الفرق الإسلامية، ومن أبرزها طائفة الصوفية؛ فقد أحدثوا مصادر خالفوا بها جماعة المسلمين، وحادوا عن جادة السلف الأولين، ومن المصادر التي اعتمدها مصدر الكشف، وكان علماء المالكية ممن تصدى لبيان انحراف المتصوفة في هذا الباب، ومن هنا جاء هذا البحث ليلقي الضوء على بعض تلك الجهود، وجعلته تحت عنوان: موقف علماء المالكية من الكشف عند الصوفية، وقد انتظم في مقدمة ومبحثين وخاتمة.

وقد توصلت بفضل الله تعالى ومنته إلى أن لعلماء المالكية جهوداً تذكر فتشكر في الرد على المتصوفة في جعلهم الكشف مصدراً من مصادر تلقي العقيدة. هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين، أما بعد،

فإن الإسلام شريعة كاملة في العقيدة والعمل، وإن الاعتقاد الصحيح من أهم ما عني ببيانه النبي ﷺ، فترك أمته على محجة بيضاء واضحة لا غموض فيها، وإن لهذا الاعتقاد مصادر بينها أهل السنة والجماعة، وساروا عليها، وهي الكتاب والسنة والإجماع، وهي مصادره الأصلية، والعقل والفطرة، وهي مصادره الثانوية، لكن طوائف من أمة الإسلام اتخذوا مصادر أخرى زعموا أنها تدل على العقيدة وتهدي إليها، وممن ضل في هذا الباب العظيم الصوفية؛ فقد اتخذوا للتلقي لم يعرفها السلف الصالح، وبنوا عليها عقائدهم وأعمالهم، ومنها الكشف.

وقد تصدى علماء السنة والجماعة لبيان خطأ هذا المذهب، ومنهم علماء المالكية، وقد ضربوا بحظ وافر في الرد على اعتماد الصوفية على الكشف، وهذا ما أحببت أن أبين طرفاً منه في هذا البحث الموسوم ب: موقف علماء المالكية من الكشف عند الصوفية، وقد جاء في مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: تعريف الكشف.

أولاً: الكشف لغة.

الكشف مصدر كَشَفَه يَكْشِفُه كَشْفًا، والكشف رفعك الشَّيْءَ عَمَّا يُؤَارِيهِ وَيُعْطِيهِ، وكَشَفَ الأمر يَكْشِفُه كَشْفًا: أَظْهَرَهُ¹.

قال ابن فارس p: "الكافُ وَالشَّيْنُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى سَرِّ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ، كَالثُّوبِ يُسَرَّى عَنِ الْبَدَنِ. وَيُقَالُ كَشَفْتُ الثُّوبَ وَغَيْرَهُ أَكْشَفُهُ.

وَالْكَشَفُ: دَائِرَةٌ فِي قُصَاصِ النَّاصِيَةِ، كَأَنَّ بَعْضَ ذَلِكَ الشَّعْرِ يَنْكَشِفُ عَنْ مَغْرِزِهِ وَمَنْبَتِهِ، وَذَلِكَ يَكُونُ فِي الْخَيْلِ التَّوَاءَ يَكُونُ فِي عَسِيبِ الذَّنَبِ.

وَالْأَكْشَفُ: الرَّجُلُ الَّذِي لَا تُرْسَ مَعَهُ فِي الْحَرْبِ، وَيُقَالُ: تَكَشَّفَ الْبَرْقُ، إِذَا مَلَأَ السَّمَاءَ، وَالْمَعْنَى صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ الْمُتَكَشِّفَ بَارِزٌ.

وَالْكَشَافُ: نِتَاجٌ فِي إِثْرِ نِتَاجٍ.

وَالْكَشَافُ: أَنْ تَبْقَى الْأُنْثَى سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا لَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا"².

ثانياً: الكشف اصطلاحاً.

الكشف في اصطلاح الصوفية الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني العلية والأمور الخفية وجوداً وشهوداً³.

وقيل: المكاشفة مهادة السر بين متباطنين، وهي في هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب وجوداً⁴.

ف فكرة الكشف قائمة على أن سبيل المعرفة إنما يكون برفع الحجب التي تحول بين النفس والاتصال بالحقبة، فكلما اجتهد العبد في إزالة هذه الحجب، انكشفت له الحقائق الغائبة⁵.

¹ لسان العرب لابن منظور (9/ 300).

² معجم مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 181، 182).

³ التعريفات للجرجاني ص (184)؛ معجم مصطلحات الصوفية لعبد المنعم حنفي ص (225).

⁴ منازل السائرين للهروي ص (113).

⁵ الكشف والإلهام بين أهل السنة والصوفية لشريف طه ص (3).

قال أبو حامد الغزالي p: "فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة؛ بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك، كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتتويجه بأنوار العلم، وإذا تولى الله أمر القلب، فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية، فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة، وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة، والتعطش التام، والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة.

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب؛ بل بالزهد في الدنيا، والتبري من علائقها، وتفرغ القلب من شواغلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، فمن كان لله كان الله له"، ثم بين سبيل الوصول إلى هذه الدرجة بقوله: "وزعموا أن الطريق في ذلك أولاً بانقطاع علائق الدنيا بالكلية، وتفرغ القلب منها، وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه؛ بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه، ثم يخلو بنفسه في زاوية، مع الاقتصار على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب مجموع الهم، ولا يفرق فكره بقراءة قرآن، ولا بالتأمل في تفسير، ولا بكتب حديث، ولا غيره؛ بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه: الله الله على الدوام، مع حضور القلب، حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان، ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه، ثم يصبر عليه إلى أن يمحي أثره عن اللسان، ويصادف قلبه مواظباً على الذكر، ثم يواظب عليه إلى أن يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة، ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه كأنه لازم له لا يفارقه، وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد، واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس، وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى؛ بل هو بما فعله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله، فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة، كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق، وعند ذلك، إذا صدقت إرادته،

وصفت همته، وحسنت مواظبته، فلم تجاذبه شهواته، ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا، تلمع لوامع الحق في قلبه...⁶.

فعلوم الصوفية علوم لدنية إلهامية ذوقية، لا تعتمد على العقل واستدلالاته، ولا على المعرفة الحسية أو العقلية المباشرة؛ بل على العرفان المباشر، وهذا ما يسمونه الكشف⁷، ولهم عندهم منزلة عظيمة، قال أبو حامد الغزالي p: "فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر، وهو الفوز بقاء الله تعالى"⁸، وفي مقابل هذا الاحتفاء بالكشف، أهملوا العلوم الشرعية المبنية على الكتاب والسنة، وزهدوا فيها، وعدّوها حجاباً دون الوصول إلى الله تعالى كما يزعمون. وكانت منزلة العارف عندهم أعلى من منزلة العالم، قال أبو الحسن الشاذلي: "علوم النظر أوهام إذا قرنت بعلوم الإلهام"⁹.

ولا ريب أن للمجاهدة وتزكية النفس أثراً في صلاح العبد واستقامته؛ لكنها ليست وحدها سبيلاً إلى تحصيل العلوم النافعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية p: "وأما العلم اللدني، فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم ما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم..." وذكر أدلة على ذلك ثم قال: "والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام: طرفان ووسط:

فقوم يزعمون أن مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس توجب حصول العلم بلا سبب آخر. وقوم يقولون: لا أثر لذلك؛ بل الموجب للعلم العلم بالأدلة الشرعية أو العقلية. وأما الوسط: فهو أن ذلك من أعظم الأسباب معاونة على نيل العلم؛ بل هو شرط في حصول كثير من العلم، وليس هو وحده كافياً؛ بل لا بد من أمر آخر، إما العلم بالدليل فيما لا يعلم إلا به، وإما التصور الصحيح لطرفي القضية في العلوم الضرورية، وأما العلم النافع الذي تحصل به النجاة من النار ويسعد به العباد فلا يحصل إلا باتباع الكتب التي جاءت بها الرسل..." ثم قال

⁶ إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 19).

⁷ ينظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية لصديق سليم صادق ص (127).

⁸ إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 12).

⁹ الطبقات الكبرى للشعراني (1/ 199).

p: "فمن ظن أن الهدى والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به، أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم، فقد ضل، وأضل منهما من سلك في العلم والمعرفة طريق أهل الفلسفة والكلام بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة، ولا العمل بموجب العلم، أو سلك في العمل والزهد طريق أهل الفلسفة والتصوف بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة، ولا اعتبار العمل بالعلم، فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع، وأعرض أولئك عن العمل والشرع، فضل كل منهما من هذين الوجهين، وتباينوا تبايناً عظيماً حتى أشبه هؤلاء اليهود المغضوب عليهم، وأشبه هؤلاء النصارى الضالين؛ بل صار منهما من هو شر من اليهود والنصارى كالقرامطة والاتحادية وأمثالهم من الملاحدة الفلاسفة"¹⁰.

ولحصول الكشف عند الصوفية وسائل كالرؤية والإلهام والفراسة وغيرها.

المبحث الثاني: ردود المالكية.

محمد بن حمدين القرطبي p (ت: 508هـ):¹¹

p: "إن بعض من يعظ ممن كان ينتحل رسم الفقه، ثم تبرأ منه شغفاً بالشرعة الغزالية، والنحلة الصوفية، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبي حامد إمام بدعتهم، فأين هو من شنع مناكيره، ومضاليل أساطيره المبينة للدين؟! وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضي إلى علم المكاشفة¹² الواقع بهم على سر الربوبية الذي لا يسفر عن قناعه، ولا يفوز باطلاعه إلا من تمطى إليه ثبج ضلالتة التي رفع لهم أعلامها، وشرع أحكامها"¹³.

¹⁰ مجموع فتاوى ابن تيمية (13 / 245 - 248).

¹¹ محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز، العلامة، قاضي الجماعة، أبو عبد الله بن حمدين الأندلسي المالكي، صاحب فنون ومعارف وتصانيف، ولي القضاء ليوسف بن تاشفين الملك، فسار أحسن سيرة، وحمل عن أبيه، روى عنه القاضي عياض وعظمه، وله إجازة من أبي عمر بن عبد البر، وأبي العباس بن دلهات، وتفقه بأبيه، وبمحمد بن عتاب، وحاتم بن محمد، وكان ذكياً، بارعاً في العلم، متفنناً أصولياً، لغوياً شاعراً حميد الأحكام، مات: في المحرم لثلاث بقين منه، عن تسع وستين سنة، سنة 508. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (19 / 422).

¹² قال أبو حامد الغزالي p: "وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران، أحدهما: وهو الباعث الأصلي، أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضرورة؛ لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة، وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط، وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به، والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب، وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين، وعلم المعاملة طريق إليه، ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه، وأما علم المكاشفة فلم

يرد القاضي محمد ابن حمدين المالكي ρ على أحد الوعاظ ممن ترك الاشتغال بالفقه وأقبل على التصوف، واتخذ أبا حامد الغزالي قدوة له، وعظم كتابه إحياء علوم الدين، وبين ρ أن من البدع الواقعة في هذا الكتاب ادعاء أن علم المعاملة يؤدي بسالكة إلى علم المكاشفة، أي الاطلاع على أسرار الربوبية، وهذا لا يستطيعه إلا من اتبع الطريق التي رسمها الغزالي، وهذا بيان لمخالفة الصوفية لسبيل المؤمنين بزعمهم أن المكاشفة أو الكشف من مصادر التلقي، واكتساب العلوم.

حسين بن غنام ρ (1225هـ)¹⁴ :

قال ρ : "ومما حدث بعد ذلك، الكلام في الحقيقة بالذوق والكشف، وزعم أن الحقيقة تتأفي الشريعة، وأن المعرفة وحدها تكفي مع المحبة، وأنه لا حاجة إلى الأعمال، وأنها حجاب، أو أن الشريعة إنما يحتاج إليها العوام، وربما انضم إلى ذلك الكلام في الذات والصفات بما يعلم قطعاً مخالفته للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة¹⁵ آثـهـ بـجـ بـدـ بـخـ بـمـ بـهـ تجـ [البقرة: ٢١٣]".¹⁵

يشير الشيخ حسين بن غنام ρ إلى جملة من المحدثات التي ظهرت بعد عصر السلف، ومنها ما أحدثه الصوفية من القول بالحقيقة والشريعة، وأن الحقيقة تعرف بالذوق والكشف، وأن الشريعة إنما يحتاج إليها العوام، وأن الحقيقة للخواص، وأن المعرفة تكفي مع المحبة، فلا حاجة إلى الأعمال، وأن الأعمال حجاب عن السير إلى الله تعالى، وربما تعدى ذلك إلى الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بغير هدى، وكل ذلك مخالف لما دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة،

يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال، والعلماء ورثة الأنبياء، فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والافتداء، ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعني العلم بأعمال الجوارح، وإلى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب...". إحياء علوم الدين (1/3، 4).

¹³ سير أعلام النبلاء للذهبي (19/332).

¹⁴ حسين بن غنام النجدي الأحسائي، مؤرخ مالكي المذهب، شاعر فحل، كان عالماً بالأحساء في عصره. ولد ونشأ في المبرز بالأحساء، ونشأ بها وقرأ على علماء وقته في الأحساء، ثم نزع من الأحساء إلى مدينة الدرعية، فقدمها على الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب فأكرمه وأنزله المنزلة الرفيعة، فاستقر في الدرعية، وجلس فيها لطلبة العلم يقرأون عليه علم النحو والعروض فقط، وممن سلیمان ابن الشيخ عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر والشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، له مصنفات، منها: العقد الثمين في شرح أصول الدين، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام أو تاريخ نجد، توفي بالدرعية سنة 1225.

ينظر: الأعلام للزركلي (2/251)؛ مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف ص (147).

¹⁵ العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين لحسين بن غنام ص (158).

وبهذا يتبين مخالفة الصوفية للمصادر الأصلية للتلقي عند المسلمين وهي الكتاب والسنة والإجماع، مع إحداثهم لمصادر جديدة كالذوق والكشف.

- عيسى بن عكاس رحمته الله 1338هـ¹⁶:

قال رحمته الله: "وأما المسألة الثالثة، وهي مسألة الاستغاثة بالأنبياء والأولياء، وأنهم يتصرفون في أمور الخلق وفي العالم، وقول من قال: إن ذلك جائز ومستحسن حتى بعد موتهم كحياتهم، وتجويزه قول: يا رسول الله، أو يا فلان عند الشدائد، فهذا الكلام مردود بكتاب الله وسنة نبيه محمد رحمته الله، ولا يشكل فسادة على من له أدنى مدخل في دين الإسلام؛ لأن الاستغاثة وهي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة عن المكروب، وهي من الدعاء، والدعاء هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضرر، وهذا لا يطلب إلا من الله، ولهذا أنكر الله على من يدعو أحداً من دونه ممن لا يملك ضرراً ولا نفعاً كقوله تعالى: أَ قِيَ كَا كَل كَم كَي كِي لَمْ لِي لِي مَا مِم نَر نَز نَم نَن نِي نِي [الأنعام: ٧١]، والآيات في ذلك كثيرة، وقد أمر الله بدعائه في مواضع من كتابه كقوله تعالى: أَ تَذُنُّهُ بَجَّ [الأعراف: ٥٥] إلى قوله: أَ حَجَّ حَمَّ حَجَّ [الأعراف: ٥٦]، وقوله: أَ نِي نِي هَجَّ [غافر: ٦٠]¹⁷.

يرد الشيخ عيسى بن عكاس رحمته الله على الصوفية الذين يجيزون الاستغاثة بالأنبياء والأولياء بعد موتهم وأنهم يتصرفون في الكون، بأن ذلك مصادم للكتاب والسنة؛ فالاستغاثة من الدعاء، وهو لا يكون إلا لله تعالى، كما جاء ذلك في القرآن والسنة، وهذا فيه مخالفة الصوفية للمصدرين الأولين من مصادر العقيدة وهما الكتاب والسنة.

¹⁶ العلامة الورع النقي الشيخ السلفي عيسى بن عبد الله بن عكاس ينتهي نسبه إلى قبيلة سبيع القبيلة المعروفة بنجد، ولد بالأحساء عام 1268هـ ونشأ بها، وكان كفيف البصر له نور ضئيل يشع من إحدى عينيه، قرأ على أشياخ وقته بالأحساء، فقرأ الفقه المالكي على الشيخ أحمد بن مشرف قاضي الأحساء، وقرأ الفقه الحنبلي وعقائد السلف الصالح على الشيخ عبد الرحمن الوهبي، درّس الموطأ وفقه الإمام مالك وفي النحو والحديث والتفسير وعلم العقائد وكان نادرة في الحفظ والاستحضار وحسن الهمد والسمت، ودرّس في قطر سنة ثم رجع إلى الأحساء، ولي قضاء الأحساء واستمر عليه مدة حياته، ولم يكن يأخذ عليه أجراً، وممن أخذ عنه: محمد الباهلي وأحمد بن محمد بن بريك الأحساني وسيف المدفع قاضي الشارقة بعمان، وعبد العزيز بن سويلم من أهل الرياض، وإبراهيم بن طوق من أهل الدرعية وخلق غيرهم، توفي عام 1338هـ بالأحساء. ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف ص (191).

¹⁷ إجابة السائل على أهم المسائل لعيسى بن عكاس ص (8).

وقال p: "وأما استدلال من قال بحياة الأنبياء بزعمه أن بعض الخواص رأوا رسول الله ﷺ في اليقظة بعد موته، فقد قال في المواهب: قال شيخنا ردًا على من زعم رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته: لم يصل إلينا ذلك عن أحد من الصحابة، ولا عمن بعدهم، وقد اشتد حزن فاطمة 1 عليه ﷺ حتى ماتت كمدًا بعده بستة أشهر، وبيتها مجاور لضريحه الشريف، ولم ينقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه.

وقال في المواهب أيضاً - بعد أن ذكر من زعم رؤيته عليه الصلاة والسلام، وساق من ذلك الحكايات الكثيرة -: كلها محمولة على المنامات والخيالات، قال: وبالجمل، فالقول برؤيته ﷺ بعد موته بعين الرأس يقظة يدرك فساد به أوائل العقول؛ لاستلزام خروجه ﷺ من قبره ومشيه في الأسواق، ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له، وخلو قبره من جسده المقدس، فلا يبقى فيه منه شيء بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب، أشار إلى ذلك القرطبي p قال: هذه جهالات لا يقول بشيء منها من له أدنى مسكة من المعقول، والملتزم بشيء من ذلك مختل مخبول.

وقال الحافظ في فتح الباري - بعد أن ذكر من زعم رؤيته النبي ﷺ في يقظة بعد موته قال: وهذا مشكل جداً. ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابته، ولأمكن الصحبة إلى يوم القيامة. اهـ. 18.

يبين الشيخ عيسى بن عكاس p ضلال من يزعم من الصوفية حياة الأنبياء، ويستدل على ذلك بأن بعض الخواص منهم رأى النبي ﷺ يقظة، وبين أن استدلالهم باطل؛ لأنه لم ينقل عن أحد من الصحابة ولا التابعين، فهم مخالف لإجماعهم، وقد قال p: "ونبيننا ﷺ قد توفاه الله وقبضه إليه، واختار ﷺ الرفيق الأعلى، ومن شك في موته فهو ضال مخالف لما أجمعت عليه الأمة. وكثير من الناس - خصوصاً في هذه الأزمنة - يزعمون أنه ﷺ حي كحياته كما كان على وجه الأرض بين أصحابه، وهذا غلط عظيم؛ فإن الله سبحانه أخبر بأنه ميت؛ لأنه ﷺ لو كان في قبره حياً مثل حياته على ظهر الأرض لسأله أصحابه عما أشكل عليهم... 19.

18 إجابة السائل على أهم المسائل لعيسى بن عكاس ص (7).

19 إجابة السائل على أهم المسائل لعيسى بن عكاس ص (7).

كما بين p ناقلاً عن أهل العلم أن معظم ما يستدل به من يرى ذلك الرأي خيالات ومنامات، وأن هذا القول معلوم الفساد بأوائل العقول؛ لما يلزم منه من اللوازم الباطلة ككونه ﷺ يخرج من قبره ويمشي في الأسواق، وخاطبته الناس، وخلو قبره منه ﷺ ، واستلزامه كون من زعم رؤيته صاحبياً! واستمرار الصحبة إلى يوم القيامة! وهذا معلوم البطلان.

فتبين بذلك مخالفة الصوفية للنص والإجماع والعقل.

مبارك الملي p (ت: 1364هـ)²⁰:

قال ﷺ: " الكشف:

ولم يبق بعد بيان حكم الرؤيا والإلهام إلا الكشف الذي كثر من يلفظ به ويردده، وقل من يفهمه أو يحده.

وقد فسر القشيري في رسالته كلمة المكاشفة بعبارات غامضة، مرجعها إلى التمكن في العلم، حتى يصير النظري عند المكاشف في حكم الضروري.

ومثل في الموافقات للمكاشفات بالامتناع من تناول أشياء ظاهرها الجواز، كامتناع الشبلي من تناول التين من شجرة ببادية ظنها مواتاً، فأخبرته أنها مملوكة، وكندامة عباس بن المهدي على التزوج بامرأة، فامتنع من البناء بها، وبعد ثلاثة أيام تبين أن لها زوجاً، وكما كان للحارث المحاسبي عرق في بعض أصابعه يتحرك إذا مد يده إلى ما فيه شبهة فيمتنع عنه ﷺ 2/269). ثم بين أن مثل هذه الحكايات يرجع إلى اجتناب حزاز القلب، لا إلى الحكم بعلم الغيب، وذلك لحديث وابصة بن معبد η، قال: أتيت النبي ﷺ ، فقال: ﷺ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: ﷺ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا أَطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي

²⁰ مبارك بن محمد إبراهيم الملي الجزائري، ولد 1316 تقريباً في دوار أولاد مبارك من قرى الميلية من أحواز قسنطينة، أخذ

عن جلة من العلماء منهم: عبد الحميد بن باديس ومحمد النخلي القيرواني، والشيخ محمد الصادق النيفر والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ بلحسن النجار وغيرهم، كان له دعوة إصلاحية ودروس ومواظ، ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انتخب الشيخ مبارك عضواً في مجلس إدارتها وأميناً لماليتها، من تلاميذه: أبو بكر الأغواطي، الأستاذ أحمد قصيبة، أحمد شطة، عمر النصيري، ترك مؤلفين جليلين: الشرك ومظاهره، وتاريخ الجزائر في القديم والحديث، ومجموعة من المقالات والبحوث النافعة، توفي سنة 1364. ينظر: معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض ص (325)؛ آثار محمد البشير الإبراهيمي (3/183)؛ مقدمة تحقيق رسالة الشرك ومظاهره لأبي عبد الرحمن محمود الجزائري.

النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوُكَ²¹. أخرجه أحمد والدارمي في مسنديهما، وحسنه النووي في الأربعين، وذكر له الحافظ ابن رجب في شرحه المسمى جامع العلوم والحكم روايات وشواهد²².

محمد بن الحسن الثعالبي ؒ ت: 1376هـ²³:

قال الشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي p: "والأمور الشرعية لا تتلقى بالكشف، ولا بادعاء لقاء النبي ﷺ، والتلقي منه بعد وفاته، ولم يعهد من مشايخ السنة أن يدّعوا دعوى كهذه، ولو فرض أن أحداً ادعاها لما التفت أحد إليه، وكان قوله من زائف القول؛ إذ يفتح باب إفساد على الشريعة بالزيادة والنقص لا يمكن سده، ثم الإنكار عليه متعين، والسكوت عنه ضلال وإقرار على ما فيه هلاك الأمة والملة؛ أ خم سج سد سذ سم صد صذ صم ضج ضد ضذ ضم طد ظم عج عم غج غم فج فد [النساء: ٦٥] ... ولو كان التلقي من النبي ﷺ بعد وفاته مقبولاً شرعاً أو عمدة في الدين، لم يقل النبي ﷺ: **فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**²⁴، ولما بقي معنى لتخصيص الشاهد بالخطاب ووجوب التبليغ.

ولو كان ذلك مقبولاً، لما كان من صفات الرسول الواجب علينا اعتقادها التبليغ في حياته، والحال أن هؤلاء المدعين سيبلغهم بعد مماته بنفسه، وبعد انتقاله لربه.

²¹ عن وابصة بن معبد ٧١، رواه أحمد في مسنده: (527 / 29 ح 18001)؛ والدارمي في مسنده: كتاب السير - باب دع ما يريك إلى ما لا يريك (831 / 2 ح 2551).

²² رسالة الشرك ومظاهره لمبارك الميلي ص (204 - 210).

²³ الإمام الفقيه المفسر العلامة المتفّن أبو عبد الله محمد بن الحسن بن العربي بن محمد بن أبي يعزى بن عبد السلام بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي، والحجوي نسبة إلى قبيلة حُجَاوَة التي توجد بالغرب قرب بني حسن، ولد بفاس يوم رابع رمضان المعظم سنة 1291هـ، نشأ في جو علمي كان له أثر بالغ في تربيته وتحصيله للعلم، أخذ عن أبيه و محمد بن التهامي الوزاني وعبد الله الكامل الأمراني، وجعفر بن إدريس الكتاني ومحمد بن محمد بن عبد السلام كنون وغيرهم، ولي وزارة العدل ووزارة المعارف، سفارة المغرب في الجزائر، واشتغل بالتدريس في علوم شتى، وخلف مؤلفات عديدة منها: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، وتفسير سورة الإخلاص، والدفاع عن الصحيحين دفاع عن الإسلام، وحكم ترجمة القرآن العظيم وغيرها، توفي في 3 ربيع الأول عام 1376هـ. ينظر: ترجمته لنفسه في مقدمة الفكر السامي (9 / 1)؛ الأعلام للزركلي (6 / 96).

²⁴ عن ابن عباس r، رواه البخاري في صحيحه: كتاب الحج - باب الخطبة أيام منى (2 / 176 ح 1739)؛ وعن أبي بكره ٧١، رواه مسلم في صحيحه: كتاب الأيمان - باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (5 / 108 ح 1679).

وحاصله أن هذه الدعوى يختل بها نظام الإسلام، وتفسد قواعده وتتحل انحلالاً، ويصير كل من شاء أن يقول شيئاً عن الرسول قاله²⁵.

يرد الشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي رحمته على الطائفة التجانية بأن الأمور الشرعية لا تتلقى بطريق الكشف أو ادعاء لقاء النبي ﷺ والأخذ منه بعد وفاته، وبين أن هذا الادعاء لم يُعهد من مشايخ السنة المتقدمين؛ وذلك لأنه ادعاء باطل، يلزم منه لوازم باطلة كفتح باب لإفساد الشريعة بالزيادة والنقص، كما أن دعوى التلقي من النبي ﷺ بعد وفاته باطلة، يلزم منها لوازم باطلة كعدم الحاجة إلى قوله ﷺ: **لَيُبْلَغُ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ**)، وعدم جدوى تخصيص الشاهد بالخطاب ووجوب التبليغ، وزوال صفة التبليغ عن النبي ﷺ في حياته؛ إذ كان أولئك القوم يتلقون عنه بعد وفاته، وهذه الدعوى حاصلها اختلال نظام الإسلام وفساد قواعده، وفتح الباب مشرعاً ليقول من شاء على النبي ﷺ ما شاء.

وقال p في رده على من يزعم رؤية النبي ﷺ بصرية في اللحظة: " وهذا الزعم غلط وقع للرأي؛ لعدم تمكنه ورسوخه في العلم، ويجب عليه أن لا يقول به؛ لئلا يسخر الناس منه، إذ الإجماع من المسلمين وأهل الملل الأخرى على أن شخصه الكريم قد دفن في المدينة المنورة، وكل سنة يتجدد هذا الإجماع بذهاب الحجاج من أقطار الأرض إلى زيارته، ومنهم الشيخ التجاني نفسه، فمن العبث أن يكون يرى شخصه، ثم يذهب على الجمال بالأحمال في الفيافي لزيارة القبر الشريف، والقرآن يقول: ﴿أَمْ مَن مِّنْكُمْ لَا يَقُولُ إِنَّهُ بَرٌّ ذَلِيلٌ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿ثُمَّ نُنْزِلُ فِيهِ نَارًا تَلْقَىٰ﴾ [الزمر: ١٧]، فهذه الدعوى تخرق الإجماع، وتتناقض القرآن، ففتعين التوبة منها" ²⁶.

بين p غلط زعم من يدعي رؤية النبي ﷺ يقظة -وهي من وسائل الكشف عند الصوفية - بسبب عدم التمكن والرسوخ في العلم، وبين أن هذه الدعوى خارقة لإجماع المسلمين، هذا الإجماع الذي يتجدد عملياً كل سنة إذا قصد الحجاج المدينة النبوية للصلاة في مسجد النبي ﷺ

²⁵ القرآن فوق كل شيء لمحمد الحسن الحجوي الثعالبي ص (47- 49).

²⁶ القرآن فوق كل شيء لمحمد بن الحسن الثعالبي ص (105، 106).

، ثم يسلمون عليه وهو في قبره، وكذلك يفعل الشيخ التجاني، فلو لم يكن ميتاً في قبره، فلم يتعنى شيخ التجانية ويقطع كل تلك المسافة، ويتحمل كل تلك المشاق وهو يرى النبي ﷺ يقظة ويتلقى منه؟! كما أن هذه الدعوى مناقضة للقرآن الكريم الذي نص على موته ﷺ في غير موضع.

وقال p: "زعم بعض المؤلفين من التجانيين أن لقاء التجاني للنبي ﷺ شفاهاً يقظة، وتلقيه عنه فضائل صلاة الفاتح وغيرها هو أمر لا شك ولا ريب فيه؛ لأنه أجمع عليه التجانيون شرقاً وغرباً، ما أطالوا به من عبارات بيضاء منتقخة، وليس كل بيضاء شحمة. وجواب هذا هو ما أجاب به الإمام مالك: فمتى يكون هشام حتى يكون له مد²⁷؟! بمعنى: أنه متى كان التجانيون هم الأمة الإسلامية جميعها، ومن سواهم ليس بمسلم حتى يكون لإجماعهم قيمة؟!

إنما هم طائفة قليلة من الناس استولى الجهل على أكثرهم، والذين هم طلبة فيهم قليلون، وقد ذهب علماءهم الأعلام، وبقي هؤلاء الذين يؤلفون هذه الكتب، والله يغفر لهم، ملؤها دعاوى فارغة لا دليل يعضدها، ولم لم يجدوا دليلاً ادعوا الإجماع، ولكن لم يتصوروا ما هو الإجماع الذي يحتج به على القول بوجوده²⁸.

بين الشيخ p بطلان دعوى بعض التجانيين لقاء شيخهم التجاني للنبي ﷺ يقظة وتلقيه صلاة الفاتح عنه، واحتجوا بإجماع طائفتهم على ذلك، وبين p بطلان دعوى الإجماع بأن الطائفة التجانية ليست هي كل الأمة الإسلامية حتى يكون إجماعها حجة أو ذا قيمة؛ بل هم طائفة قليلة أكثرهم جهال، ذهب علماءهم، وقل طلبة العلم فيهم، واحتجاجهم بإجماع طائفتهم دليل على جهلهم بحقيقة الإجماع.

محمد الأمين الشنقيطي ﷺ (1393هـ):

^{27 28} هشام بن إسماعيل المخزومي والي المدينة لعبد الملك بن مروان، هو الذي ينسب إليه مدّ هشام عند الفقهاء، وربما قالوا: المد الشامي، يريدون الهشامي، وهو أكبر من المد الذي كانت تكال به الكفارات وأنواع الزكاة في عصر النبوة. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (417/12)؛ الأعلام للزركلي (85/8).

²⁸ القرآن فوق كل شيء لمحمد بن الحسن الثعالبي ص (111).

وقال p: " فالفرقة الناجية: هي التي كانت على ما عليه النبي وأصحابه من العقيدة الصحيحة، وامتنال أوامر الله، واجتتاب نواهيه على الوجه الصحيح الكامل، فالصحابه p لم يدعوا شيئاً مما يدعيه المضللون من أنهم يرون النبي يقظة ويجتمعون به دائماً، لم يقولوا شيئاً من ذلك لصدقهم وعدالتهم، هذا أمير المسلمين في زمانه عثمان بن عفان أعز فتى في قريش، وهو أمير المؤمنين، والإسلام في شدة قوته، ولما أمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب أن يذهب بالهدايا إلى مكة لما حاصروهم في الحديبية قال له: أنا لا أستطيع؛ لأن بني عدي لا يمكن أن يمنعوني من قريش، ولكن أدلك على رجل أعز مني، وهو عثمان بن عفان، فأخذ النبي ﷺ لعزته ومكانته في قريش، وأرسل معه الهدايا، وتلقاه بنو عمه يقولون:

أَقْبِلْ وَأَذْبِرْ وَلَا تَخَفْ أَحَدًا ... بَنُو سَعِيدٍ أَعَزَّةَ الْحَرَمِ

وهو بهذه العزة في قريش، وهو أمير المؤمنين، وصهر رسول الله على ابنتيه، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ذبح في داره ظلماً، والحجرة النبوية بجنبه، لم يأت به النبي ﷺ، ولم يحل لهم المشكلة. وهذه عائشة ذهبت إلى العراق، ووقعت قصة الجمل، والنبي ﷺ معها في الحجرة، لم تستطع أن تلقاه، ولم تأخذ رأيه: هل تفعل؟ بل قد ندمت كل الندم على ما صدر منها، ولما نزلت مسألة العول، ماتت امرأة وتركت زوجها وأختها في خلافة عمر بن الخطاب، فقال عمر: إن أعطيت الزوج النصف لم يبق ثلثان، وإن أعطيت الأختين الثلثين لم يبق نصف، فماذا أفعل؟ وأسفوا كل الأسف على أنهم لم يسألوا النبي ﷺ، فما قال أحد منهم: إنهم يسألونه؛ لأنه صلوات الله وسلامه عليه أرسله الله لمهمة وقد بلغها على أكمل الوجوه وأتمها وأحسنها وأنصحها، ثم تركها محبة بيضاء ليلها كنهارها، ثم اختاره الله إلى ما عنده من الكرامة، ونقله إلى الرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه²⁹.

يبين العلامة محمد الأمين الشنقيطي ﷺ أن الفرقة الناجية هي التي كانت على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من العقيدة والعمل، ومع ما كان عليه الصحب الكرام p من العدالة والفضل، لم يدعوا شيئاً مما يدعيه أهل التصوف من رؤية النبي ﷺ يقظة - وهي عندهم من

²⁹ العذب النمير لمحمد الأمين الشنقيطي (2/ 604، 605).

محمد تقي الدين الهلالي رحمته الله (1407هـ)³⁰:

أولها: أنه يلزم منه أن النبي ﷺ كتم هذه العلوم عن الخلفاء الراشدين من كبار الصحابة في حياته، وكتمها عن خيار أمته بعد ذلك، وخبأها إلى أواخر القرن الثاني عشر، وخص بها الشيخ التجاني، والله تعالى يقول في سورة المائدة آية 67: ﴿أَبْرَأَ بَـنِ بِيْتِ بِي تَرْتَرْتَن تَن تَي شَرْتَرْتَم [المائدة: ٦٧] ...

120

ثانيها: أن يقال إما أن تكون هذه العلوم المكتومة فيها خير للأمة أو لا خير فيها، فإن كان فيها خير، فكيف يحرم النبي ﷺ أصحابه ومن بعدهم إلى أواخر القرن الثاني عشر من هذا الخير وهو الرؤوف الرحيم الذي ما ترك شيئاً ينفع أمته إلا بينه لهم ورغبهم فيه، ولا ترك شيئاً يضرهم إلا حذرهم منه كما دلت على ذلك الأخبار الصحاح وأجمع عليه السلف الصالح، قال تعالى في سورة النحل آية 44: أَيْحَ يَحْيَىٰ يَمِ يُيُيْ ذُرِّيَّ ۚ [النحل: ٤٤] ، وقد فعل رسول الله ﷺ ما أمره ربه به على أكمل وجه، قال البخاري p في تفسير آية المائدة التي تقدم ذكرها بسنده إلى عائشة 1 : «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ: أَرَبْ بَرَبْ بَنِي بِي تَرْتَرْتَمٌ 32...»

ثالثها: إن يقال هذه العلوم التي اختص بها رسول الله ﷺ الشيخ التجاني ما هي؟ وهل علمها الشيخ تلامذته ومُريديه أم كتمها عنهم؟ فإن علمهم إياها فأبرزوها لنا، وإن لم يعلمهم إياها فما فائدتها؟ وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ**³³، وفي صحيح البخاري عن علي بن أبي طالب η أنه قيل له: هل خصكم رسول الله ﷺ معشر أهل البيت بشيء فقال: **وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأ النَّسَمَةَ مَا خَصَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ إِلَّا فَهْمًا يُعْطَاهُ رَجُلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَإِلَّا مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَقَرَأْتُ فَإِذَا فِيهَا الْعَقْلُ وَفِكَائِكَ الْأَسِيرِ** **وَأَلَّا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ**³⁴ⁿ³⁵.

أبطل الشيخ p ادعاء أولئك الصوفية أن شيخهم رأى النبي ﷺ يقظة، وتلقى منه أوراد الطريقة وفضله وفضل طريقته، وبين أن ذلك مخالف للأدلة الشرعية، ولإجماع خير القرون، وأن هذه الرؤية المدعاة لم تقع لأفضل أولياء الله من هذه الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين مع شدة الحاجة إليه، كما أن هذه الدعوى لا دليل لهم عليها.

³² عن عائشة ، رواه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن- باب يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك (6/ 52 ح 4612).

33 عن زيد بن أرقم ٧، رواه مسلم في صحيحه: كتاب العلم- باب التعوذ باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل (8/ 81 ح 2722).

³⁴ عن علي η ، رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير- باب فكاك الأسير (4/ 69 ح 3047).

35 الهدية الهادية للهالي ص (60، 61).

ثم إنه يلزم من هذا الادعاء كتمان النبي ﷺ بعض العلوم عن خيار الأمة كالخلفاء الراشدين ومن بعدهم، وخص بها التجاني، وهذا الادعاء ينافي حرص النبي ﷺ على نصح أمته وتبليغها ما ينفعها من العلوم بالإجماع، ثم يقال لهم: أين هذه العلوم؟ وما فائدتها؟

- أبو بكر جابر الجزائري ﷺ 1439هـ³⁶:

بين p بطلان ما يدعيه المتصوفة من الكشف والتجلي، وأن إدراك ما وراء العقل محال، وأن ما يدعونه -كذباً وزوراً- من تجلي الذات الإلهية للسالكين باطل يؤدي إلى القول بوحدة الوجود وادعاء الربوبية، ثم قال p: "والمقصود أخي المسلم، مما ذكرنا ان دعوى الكشف والتجلي هي التي جرت القوم إلى القول الحلول ووحدة الوجود، ثم إلى ادعاء الربوبية والعياذ بالله تعالى من الحور بعد الكور، ومن الغواية بعد الهداية"³⁷.

وقال p مبيناً بدعية القول بالفناء عند الصوفية: "وبالجملة، إن الفناء لم يرد به كتاب ولا سنة ولا عرف سلف هذه الأمة، وإنما هو خدعة صوفية وخلصه شيطانية من وضع اليهودية العالمية والمجوسية الفارسية، توصل بها إلى تكفير الكثير من المسلمين بإدخال عقائد المجوس والنصارى في عقائدهم الإسلامية، وهكذا يفعل الأعداء، والويل لمن لم يعرف عدوه"³⁸.

فأبطل الشيخ p دعوى الفناء والتجلي عند الصوفية بأنها لم ترد في الكتاب ولا السنة ولا عرفها سلف الأمة، إنما هي بدعة محدثة وتلبس من الشيطان، تواطأ عليه اليهود والمجوس لإدخال الخلل في عقائد المسلمين.

³⁶ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ولد بقرية (ليوّه) بكسر اللام مع المد وفتح الواو ثم بعدها هاء وهي قرية زراعية من قرى مدينة بسكرة، بالجنوب الجزائري، أشرفت أمه على تعليمه وتحفيظه القرآن الكريم وغرست فيه الأخلاق الفاضلة، أخذ عن عيسى معتوق ونعيم النعيمي والطبيب العقبي، وعمر بري ومحمد الحافظ ومحمد الخيال وعبد العزيز بن صالح، وكان للشيخ الطبيب العقبي الأثر الكبير في مسيرته الدعوية الإصلاحية، أنشأ مجلتي الداعي واللواء، درس في المسجد النبوي الشريف والجامعة الإسلامية، وممن أخذ عنه: عبد الرحمن بن صالح بن محيي الدين وعدنان بن عبد العزيز الخطيري وعبد الرحمن بن صدوق الجزائري وإدريس بن إبراهيم المغربي وغيرهم، من مؤلفاته: منهاج المسلم، عقيدة المؤمن، أيسر التفاسير، هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب، كمال الأمة في صلاح عقيدتها وغيرها، توفي فجر الأربعاء 4 ذو الحجة 1439 هـ. ينظر: الموقع الرسمي للشيخ أبي بكر الجزائري؛ سلم الوصول إلى تراجم علماء مدينة الرسول لحمزة القرعاني ص (353)؛ علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ص ().

³⁷ إلى التصوف يا عباد الله لأبي بكر الجزائري ص (67-72).

³⁸ إلى التصوف يا عباد الله لأبي بكر الجزائري ص (76، 77).

-الشيخ بن حنفية العابدين حفظه الله³⁹:

قال حفظه الله: " خرج المتصوفة بالتدريج عن هدي النصوص إلى الذوق والوجد والكشف والرؤى، فوسم الفقهاء بعلماء الظاهر، ووصف المتصوفة بعلماء الباطن، ثم قيل هذه شريعة وهذه حقيقة، وغدت العقائد آراء يعتورها النقض والإبرام، وجدالاً لا نهاية لمحتملاته ونقائضه واعتراضاته. وقد حصل هذا الانفصال مبكراً، لكن لسبب مختلف، وهو أن السلف لم يكونوا في حاجة إلى كبير كلام في العقائد؛ لأن معتمداها النصوص، وهي محفوظة ولله الحمد، والخلاف فيها منعدم، فأما التزكية والعناية بالباطن فقد كانوا يعلمون أنها من أعظم مقاصد الشريعة، فكان الإخلاص يطبع أعمالهم، وكانت أقوالهم من جملة أعمالهم، وكانت تصرفاتهم وسلوكهم منبئة عن عدم ركونهم إلى الدنيا، والاغترار بزينتها، يهتدون في كل ذلك بكتاب ربهم وسنة نبيهم، فما قالوا بذوق ولا كشف، ولا اعتمدوا على الرؤى وغيرها في إثبات شيء ونسبوه إلى الدين، ومن هنا كانت عنايتهم بالمسائل العملية وهي الفقه؛ لأنه يحتمل الخلاف، لكنه كان عندهم وثيق الصلة بالنصوص التي هي المعين للثّر لاستقاء الأحكام...⁴⁰.

يبين الشيخ حفظه الله انحراف المتصوفة عن المنهج الحق وهو اتباع نصوص الكتاب والسنة إلى مصادر أحدثوها كالكشف والذوق والوجد والرؤى المنامية، خلافاً لما كان عليه السلف الذين كان دينهم التمسك بالوحي وعدم الخروج عنه.

³⁹ هو الشيخ الفاضل الفقيه بن حنفية، وأصل لقبهم زين العابدين، من عرش الوهابية، نسبة لجدهم عبد الوهاب أحد أحفاد الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولد سنة 1948م/ ما بين سنتي 1367 و1368هـ، بعين المانعة ببلدية عين الحجر في ولاية سعيدة بالغرب الجزائري، ختم القرآن في سن الحادية عشرة، وأخذ مبادئ العلوم بمسقط رأسه، ثم وجهه والده إلى مدينة سيدي بلعباس، وفيها أخذ العلم عن بعض المشايخ المصريين في مسجد التربية والتعليم التابع لجمعية العلماء المسلمين، ثم انضم إلى المعهد الإسلامي سنة 1964م وتخرج منه بعد ثلاث سنوات، وكان الأول على دفعته، من مشايخه: عبد الرحمن المغربي، مبروك القوراري، أحمد مولاي عزوز، أبو زيد المصري، علي عز الدين السيد، من مؤلفاته: العجالة في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، كيف نخدم الفقه المالكي، سد الحاجة إلى خطبة الحاجة، فقه الأدلة المتعارضة وغيرها، وله دروس في الحديث والفقه والتفسير والأصول.

⁴⁰ العجالة في شرح الرسالة لبن حنفية العابدين (1/ 45، 46).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له تعالى على ما من به من إتمام هذا البحث الذي أرجو أن أكون قد أسهمت به في إبراز شيء من جهود علماء المالكية في بيان الخلل في الاستدلال بالكشف عند الصوفية وجعله مصدراً لتلقي العقيدة، وأسأل الله تعالى الكريم أن يرد المسلمين إليه رداً جميلاً، وأن يرزقهم الفقه في الدين والسير على نهج سيد المرسلين ﷺ، وصحابته الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبي محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع.

- آثار محمد البشير الإبراهيمي: محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي. جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997م.
- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي. بيروت: دار المعرفة.
- إجابة السائل على أهم المسائل: عيسى بن عكاس. رسالة منشورة على موقع الألوكة. [./https://www.alukah.net/sharia/0/40029](https://www.alukah.net/sharia/0/40029)
- الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي. ط15. بيروت: دار العلم للملايين، 2002 م.
- البداية والنهاية: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1417 - 1420 هـ..
- التعريفات للجرجاني: الشريف علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني. تحقيق: جماعة من العلماء. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1403 هـ - 1983م.
- رسالة الشرك ومظاهره: مبارك بن محمد المليي. تحقيق: أبي عبد الرحمن محمود. ط1. الرياض: دار الراجية للنشر والتوزيع، 1422 هـ - 2001م.
- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرنؤوط. ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405 هـ - 1985 م.
- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: جماعة من العلماء وعناية: زهير الناصر. ط1. بيروت: دار طوق النجاة، 1422 هـ.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. تحقيق: مجموعة من الباحثين وعناية زهير الناصر. ط1. تركيا: دار الطباعة العامرة، 1334 هـ.
- العجالة في شرح الرسالة: بن حنفية العابدين. ط3. الجزائر: دار الإمام مالك، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: محمد الأمين الشنقيطي. تحقيق: خالد بن عثمان السبت. ط5. الرياض: دار عطاءات العلم- بيروت: دار ابن حزم، 1441 هـ - 2019 م.

العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين: حسين بن غنام النجدي الأحسائي المالكي. تحقيق: محمد بن عبد الله الهبدان. ط1. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1423 هـ - 2003 م.

الفكر السامي الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1416 هـ - 1995 م.

القرآن فوق كل شيء: محمد الحسن الحجوي الثعالبي. تحقيق: محمد بن عزوز. ط1. بيروت: دار ابن حزم، 1426 هـ - 2005 م.

لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي.
تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين. ط3. بيروت: دار صادر، 1414 هـ.

مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد السلام ابن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425 هـ - 2004 م.

مشاهير علماء نجد وغيرهم: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ. ط1. الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1392 هـ / 1972 م.

المصادر العامة للتلقي عند الصوفية: صادق سليم صادق. ط2. الرياض: دار التوحيد للنشر، 1437 هـ - 2016 م.

معجم أعلام الجزائر: عادل نويهض. ط2. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1400 هـ - 1980 م.

معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م.

منازل السائرين: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي. بيروت: دار
الكتب العلمية.

الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية: محمد تقي الدين الهلالي. تحقيق: مشهور حسن آل سلمان.
ط1. المدينة المنورة: دار الإمام مسلم- مركز سطور للبحث العلمي، 1443هـ -
2022م.

